اليهود ، الا انه بدا اكثر قرباً والتصاقاً من حقيقة الاوضاع ومن طموحات الجماهير العريضة العربية ومن المهمات العامة المطروحة امام النضال الوحدوي العربي العام .

هذا التحول قرب خط الحزب من الحزبين الشيوعيين الشقيقين في كل من مصر وسوريا ـ لبنان حول القضايا المختلفة بما فيها القضية القومية .

وانعكس هذا بشكل جلي في الكونفرانس المشترك للحزب الشيوعي الفلسطيني والحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني في عام ١٩٣١ ، اذ اصدر المؤتمر قراراً حمل عنوان (واجبات الشيوعيين في الحركة القومية العربية) جاء فيه « ان جوهر القضية القومية العربية يتحدد في اطار ان الامبرياليين الانكليز والفرنسيين والايطاليين والاسبان قد خرقوا الجسد الحي للشعوب العربية . هذا التمزيق الذي حرمها من مقومات التقدم الاقتصادي والسياسي المستقل ، وحوّل الأقطار العربية الى ملحقات زراعية ومنتجة للمواد الخام ، بما يتضمن ذلك من تشويه واعاقة لنمو القوى المنتجة ولجمل التطور في هذه الأقطار ... ان الامبرياليين يعتمدون على الزمر الملكية والرجعية ، وعلى ملاك الأرض والشيوخ الاقطاعيين وشبه الاقطاعيين ، وعلى البوجوازيين والكمبورادور وعلى الفئة العليا من رجال الدين ... لذا ، فان النضال من أجل الاستقلال الوطني والوحدة القومية للشعوب العربية يتقاطع بالضرورة مع النضال من أجل ثورة فلاحية ضد المغتصبين الامبرياليين وعملائهم (الصهيونيين في فلسطين) وفي الوقت نفسه ضد ملاكي الاراضي الاقطاعيين » (ص ٢٠٩) .

هذه المواقف كانت بمثابة محطة جديدة انطلق منها الحزب الشيوعي الفلسطيني لتمتين صلاته بالاحزاب الوطنية والقومية في فلسطين وخارجها .

ففي تشرين الاول ١٩٣٥ اشار البيان الذي صدر عن الحزب الشيوعي الفلسطيني بعنوان « من اجل تحالف كل العرب واصدقائهم ضد الامبريالية » الى ضرورة توسيع الرقعة الطبقية من اجل التصدي للمؤامرة الامبريالية : « على كل عربي أكان تاجراً ، حرفياً ، صاحب دكان ، مصرفياً ، صاحب مصنع ، مهنياً ، أو من الصناعيين يعاني من نتائج السياسية الامبريالية والبريطانية ، ان يعمل على تدعيم وحدة المجتمع لاننا لا نستطيع النضال من اجل الوطن بينما نقاتل بعضنا بعضاً باستمرار » (ص ٢١٣) .

غير ان هذا التقرب من الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية الذي أكسب الحزب تأييد الجماهير العربية افرز تياراً مرتداً داخل صفوفه كان يدعو الى تمحور وتركز النشاط السياسي داخل التجمع اليهودي . وهذا ما حصل بعد خمود ثورة ١٩٣٦ . ويعزو الاستاذ سمارة هذه التقلبات والتحولات الى انه منذ البداية [بداية نشوء الحزب] كان واضحاً ان الشيوعي الذي ينتسب بحكم عوامل خارجة عن ارادته الى التجمع اليهودي الكولونيالي يقف امام اختيارين حاسمين : فاما الهجرة عن فلسطين او اعلان الانتساب الكامل الى قضية الجماهير العربية ، واذا كان الاختيار الاول ممكنا ، فلا شك ان عقبة مهمة تقف امام الاختيار الثاني بحيث يصعب جعله اختياراً جماعياً . فحالة العداء القائمة في المجتمع تجاه المشروع الكولونيالي ومادته البشرية تشكل حاجزاً موضوعياً ثانياً امام انخراط الشيوعيين اليهود في الاطار الاجتماعي الذي ناضلوا من خلاله ، ولو من منطلقات معادية لمشروعه ومستقبله السياسي (ص ٢١٥) .

امام هذا التردد وعدم الحسم في التوجه نحو الجماهير العربية وامام اجتياح المشروع الكولونيالي للساحة الفلسطينية ، وبالدات امام التغيرات الديموغرافية وكافة المستجدات التي كانت تعيشها الساحة الفلسطينية ، امام كل هذا ، وجدت عناصر من الحزب الحل بتأسيس تنظيم خاص للشيوعيين اليهود . وكان الانقسام في عام ١٩٣٧ ، حيث تم انتخاب حانوخ بساسا اميناً عاماً للحزب .

عصبة التحرر الوطني في فلسطين
حيثيات الرضوخ والنشوء والنهاية

في الفصل الاخير يستعرض المؤلف بداية تبلور ثلاثة تيارات داخل الحزب الشيوعي الفلسطيني

الاول : الحزب الشيوعي الفلسطيني ، الذي كانت رموزه القيادية ممثلة في كل من ميكونيس ، فلنر ، فيلنسكا وسواهم وكلهم من الشيوعيين اليهود .

الثاني : حمل اسم عصبة التحرر الوطني في فلسطين، الذي لم يضم في صفوفه سوى العرب، واهم قياداته اميل توما ، بولس فرح ، موسى الدجاني ، أميل حبيبي ، فؤاد نصار ، توفيق طوبى .